المحاضرة التاسعة: المنظمة الخاصة (O.S) والإعداد للثورة (1947 – 1954)

1 . المنظمة الخاصة (O.S):

خرجت المنظمة الخاصة من رحم حزب الشعب الجزائري بمقتضى قرارات المؤتمر المنعقد يومي 15 - 16 فبراير 1947 في (بوزريعة وبلكور) وعين على رأسها الشاب "محمد بلوزداد". الذي تمكن في ظرف عام واحد من تجنيد حوالي ألفي مناضل كلهم من الشباب المؤمن بالعنف الثوري والمخلص لوطنه إخلاصا لا تشوبه شائبة، ثم زودتهم بتعليم عسكري في إطار حرب العصابات ودربتهم على استعمال الأسلحة الكائنة في المخابئ والمتفجرات بمختلف أنواعها، والتي جلبت سنتي 1947 و 1948غالبيتها كمخلفات الحرب العالمية الثانية من الحدود الليبية التونسية الجزائرية أين دارت المعارك في صحراء الليبية بين دول الحلفاء والمحور هناك، وقد أتي بها على محور خط وادي سوف الزيبان الأوراس أين خزنت أو وزعت حتى إلى عمالة قسنطينة.[1]

وفي هذا الشأن يمكن أن نقول أن المنظمة أعدت جيشا كاملا ووفرت له جميع الشروط الضرورية للدخول في المعركة، وكان من الممكن أن تندلع الثورة سنة 1949 لو لم يقعد مرض السّل الخبيث "محمد بلوزداد"[2] ولو لم تقع ما يسمى بالأزمة البربرية التي ما كانت لتظهر لو لم يكن "محمد" طريح الفراش في مصحة (بوبيني بباريس)، والذي استطاع من الوهلة الأولى، أن يضفي على المنظمة الخاصة طابع السرية والجدية والانضباط، وزودها بقانون داخلي ضمنه جميع الضوابط التي تتحكم في مقومات جيش قوي ومقتدر.[3] وجاءت قيادة الأركان على النحو التالي:

. قائد الأركان "محمد بلوزداد"

- نائب قائد الأركان مسؤول منطقة القبائل "حسين آيت أحمد"

- مسؤول عمالة قسنطينة "محمد بوضياف"

- مسؤول عمالة الجزائر (1) (العاصمة، متيجة، التيطري) "جيلالي رجيمي"

- مسؤول عمالة الجزائر (2) (الظهرة ، الشلف) "عبد القادر بلحاج جيلالي"

- مسؤول عمالة وهران "أحمد بن بلة"

ولما سقط "محمد بلوزداد" طريح الفراش . كما أشرنا سابقا . خلفه على رأس المنظمة "حسين آيت أحمد"[4] في شهر نوفمبر 1947 فكانت هيئة الأركان في عهده على النحو التالي:

- قائد الأركان "حسين آيت أحمد"

- المدرب والمفتش "عبد القادر بلحاج جيلالي"

- مسؤول عمالة قسنطينة "محمد بوضياف"

- مسؤول عمالة الجزائر (1) (العاصمة، متيجة، القبائل، التيطري) "جيلالي رجيمي"

- مسؤول عمالة الجزائر (2) (الشلف، الظهرة) "محمد ماروك"
- عمالة وهران "أحمد بن بلة"
- شبكة الاتصالات والاستعلامات والمساعدات "أمحمد يوسفي"

وفي عهد "حسين آيت أحمد" المدعو "سي مجيد" أهم حدث قامت به المنظمة عملية الهجوم على مكتب البريد المركزي بوهران في يومي 5 - 6 أفريل 1949.

لكن هذا الأخير سيتم عزله من قيادتها بسبب ما عرف بالأزمة البربرية التي تورط فيها، فيتولى خلافته "أحمد بن بلة"[5]، الذي أصبحت قيادة الأركان في عهده على النحو الآتي:

- قائد الأركان "أحمد بن بلة"
- المدرب العسكري والمفتش العام "عبد القادر بلحاج جيلالي"
- مسؤول عمالة قسنطينة "محمد بوضياف" ونائبه "محمد العربي بن مهيدي"
- مسؤول عمالة الجزائر (1) (العاصمة، متيجة، القبائل، التيطري) "جيلالي رجيمي"
- مسؤول عمالة الجزائر (2) (الشلف، الظهرة) "أحمد محساس"
- عمالة وهران "عبد الرحمان بن سعيد" ونائبه "حمو بوتليليس"
- المصالح العامة والمساعدات "أمحمد يوسفي"[6]

لكن في فترة "أحمد بن بلة" تم اكتشاف المنظمة من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية في يوم 18 مارس 1950 على اثر الحادثة التي عرفت بحادثة "عبد القادر خياري" المدعو "رحيم" من تبسة، والذي توجهت إليه مجموعة من المناضلين في المنظمة لمعاقبته بتهمة عمالته لمصالح الأمن الاستعمارية، لكن تمكنه من الفرار أدى إلى اكتشاف التنظيم السري، ومكنت الشرطة الفرنسية من القبض على حوالي خمسمائة من أعضاء المنظمة بما في ذلك قائد الأركان "أحمد بن بلة" وبعض مساعديه أمثال "عبد القادر بلحاج جيلالي" و"جيلالي رجيمي"، و"حمو بوتليليس" و"أحمد محساس" و"أمحمد يوسفي". فكان اكتشافها دافعا للشرطة بالقيام بعمليات القمع والتعذيب، لكن من جانب قيادة الحزب فإنها أنكرت وجود منظمة شبه عسكرية حتى تجنب الحزب الحل، كما دعمت أطروحة مؤامرة استعمارية تهدف إلى تدمير الحركة الوطنية.[7]

وإن كانت المنظمة قد تضّررت أكثر في اعتقال مناضليها خاصة في مناطق (تبسة ، قالمة، سوق هراس، عنابة، سكيكدة) من جانب عمالة قسنطينة، وفي عمالة الجزائر مسّت أكثر (الشلف، الظهرة، والتيطري)، وفي عمالة وهران فقد مسّت (تلمسان، وهران، معسكر، تيارت، عين تموشنت)، فإنّ العاصمة ومنطقة القبائل والأوراس لم يكتشف أمر مناضليهم، وخاصة المنطقة الأخيرة التي ستحتضن بعض المناضلين الفارين إليها.[8]

2 . اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى تفجير ثورة أول نوفمبر 1954:

في ظل الصراع المحموم الذي بدا داخل قيادة حزب الشعب الجزائر (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) بين أعضاء اللجنة المركزية و"مصالي الحاج" ، وهو الصراع الذي اشتد خاصة سنة 1954، السنة التي ظهرت في 23 مارس منها هيئة من أجل التوفيق بين الطرفين المتصارعين، وكان مكتب هذه اللجنة يضم أربعة أعضاء هم: اثنان من قدامى المنظمة الخاصة ("مصطفى بن بولعيد" و"محمد بوضياف") واثنان من المركزيين ("محمد دخلي" و"بوشوبة رمضان" المدعو " موسى").[9]

وعن هذه اللجنة يقول "محمد بوضياف": ((حين تأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954، لم يكن الأمر يتعلق بأي حال من الأحوال بتأسيس اتجاه سياسي جديد؛ بل أستحوذ على أذهاننا فكرة واحدة هي ضرورة بذل أقصى ما نستطيع للحفاظ على وحدة حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتخليصه من البيروقراطية وحالة الضعف التي آل إليها، فلم يكن ثمة بد من دفعه إلى العمل المسلح؛ باعتبار أن تلك هي الوسيلة الوحيدة لدعوة القاعدة الحزبية للنظر في الواقع بعين واعية كنا نطالب فورا بانعقاد مؤتمر شامل تسوده حرية التعبير والديمقراطية)). ثم يواصل قائلا: ((لم يكن في مقدورنا أن نحبط بمفردنا ديكتاتورية "مصالي" بل كان لزاما علينا أن نستعين ببعض المركزيين لأنهم هم الذين يتحكمون في الواقع في الأعضاء المداومين في المنظمة الخاصة)).

أصدرت اللجنة الثورية للوحدة والعمل نشرية سمتها (الوطني Le patriote) التي دعت المناضلين إلى اتخاذ موقف الحياد، وفي الوقت ذاته انتقدت فيه "مصالي الحاج" مداراة، وبذلك ارتفعت أصوات المصاليين متهمة المولود الجديد بالتحيز للجنة المركزية التي كان من أعضائها من أمثال ("حسين لحول"، "سيد علي عبد الحميد"، "مصطفى بن بولعيد"، "بشير دخلي").

الأمر الذي جعل مسؤولو المنظمة الخاصة أمثال ("محمد بوضياف" "ومحمد العربي بن مهيدي"، "مصطفى بن بولعيد"، "ديدوش مراد"، "رابح بطاط") الذين كانوا أعضاء في اللجنة يتوجهون إلى التحضير لإشعال فتيل الثورة. [10]

4 . لقاء مجموعة الاثنين وعشرين:

بعد فشل تجربة اللجنة الثورية للوحدة والعمل، عقد أعضاء من المنظمة الخاصة اجتماعا سمى نسبة للعدد المناضلين الذين حضروه ، وقد تبنى فكرة عقد هذا الاجتماع وحضّر له أربعة هم:("محمد بوضياف"، "مصطفى بن بولعيد"، "ديدوش مراد"، "محمد العربي بن مهيدي"). وعقدوا اجتماع في أواخر شهر جوان سنة 1954 وهناك من يذكر أنه يوم الخامس والعشرين منه وبالتحديد، في دار المناضل "الياس دريش" بكلود صالمبي سابقا (المدنية حاليا) بالجزائر العاصمة.[11]

استغرق هذا اللقاء يوما كاملا، وترأس الجلسة "مصطفى بن بولعيد" في الوقت الذي قدّم فيه "محمد بوضياف" التقرير الذي أعد من خلال الجلسات التحضيرية من قبل كل أعضاء الفريق، وأحيانا بمساعدة كل من "بن مهيدي"، و"ديدوش" كما يخبر بذلك "محمد بوضياف". ومن جملة ما تناوله التقرير ما يلي:

- تاريخ المنظمة الخاصة منذ نشأتها إلى حين حلها.
- حصيلة القمع الاستعماري والتنديد بالسلوك الانهزامي لقيادة الحزب.
- العمل الذي أنجزه قدماء المنظمة الخاصة في الفترة الممتدة من 1950 إلى 1954.
- أزمة الحزب وأسبابها العميقة.
- موقف أعضاء المنظمة الخاصة في اللجنة الثورية للوحدة والعمل.
- وجود الحرب التحريرية في تونس والمغرب.

وانتهى التقرير بالعبارة التالية: ((نحن قدامى المنظمة الخاصة يرجع إلينا اليوم القرار في التشاور وتقرير المستقبل)).[12]

وفي هذا الاجتماع طرحت نقطة الثورة هل حان وقتها أم لا؟. وقد أثارت نقاشا حادا، حيث يقول عنها "بوضياف" ما يلي: ((وقد خصصت فترة الظهيرة لمناقشة التقرير، والتي تمت في جو من الصراحة والأخوة، واتضح موقفان:

أولهما؛ تمثله العناصر الجاري عنها، وتفضل المرور الفوري نحو العمل كوسيلة وحيدة لتجاوز الوضعية الكارثية، ليس فقط بالنسبة للحزب، ولكن لمجموع الحركة الثورية.

أما التوجه الثاني؛ ودون أن يرفض ضرورة العمل الثوري اعتبر أن وقت اندلاعه لم يحن بعد. وكان تبادل الحج شديدا جدا، وقد حسم الأمر بعد التدخل المؤثر لـ "سويداني بوجمعة"، والذي بعينيه الدامعتين أنب الصامتين قائلا: نعم أم لا؟. هل نحن ثوار؟. إذن ماذا ننتظر للقيام بهذه الثورة، إذا كنا صادقين مع أنفسنا)). كما حرّر "بن مهيدي" مذكرة تمت المصادقة عليها، وهي تدين صراحة الانشقاق داخل الحزب ومسببه، كما توضح إرادة مجموعة من الإطارات لوقف آثار الأزمة، ولإنقاذ الحركة الوطنية الجزائرية من التصدع، قرّرت القيام بالثورة المسلحة وانتهت بعبارة: ((إن الاثنين والعشرين يكلفون المسؤول الوطني الذي يتم انتخابه بوضع قيادة ستكون مهمتها تطبيق قرارات هذه المذكرة)).

كما تم في هذا اللقاء انتخاب المسؤول الوطني فقط بأغلبية الثلثين، وهو يختار بقية أعضاء اللجنة، وفعلا أخبر "مصطفى بن بولعيد" "محمد بوضياف" أنه تمّ انتخابه كمسؤول وطني، والذي بدوره لم يتردّد بعد هذا اللقاء بيوم باستدعاء "بن بولعيد" و"ديدوش" و"بن مهيدي"، و"بيطاط" وتشكلت لجنة الخمسة التي قررّت ما يأتي:

. جمع قدامى المنظمة الخاصة وإدماجهم من جديد في الهيكل.

. استئناف التدريبات العسكرية انطلاقا من كتيب المنظمة الخاصة الذي أعيد طبعه.

. إقامة فترات تربصية في مجال التفجيرات لصنع القنابل الضرورية عند الانطلاق.

. ووزعت المسؤوليات على أعضاء اللجنة، وتم التركيز على مضاعفة الاتصالات مع مسؤولي القبائل الذين كانوا لا يزالون مترددين من أصحاب فكرة تفجير الثورة، وفي صف المؤيدين للزعيم "مصالي الحاج" في صراعه مع المركزيين.[13]

في شهر جويلية من نفس السنة اتصل "محمد بوضياف" بـ "أحمد بن بلة" في (بيرن) بسويسرا وأعلمه بما شرع فيه، وما ينتظرونه من المندوبية الخارجية، وبعد موافقته الفورية أخذ "أحمد بن بلة" السير في هذا الطرح وأبلغ "محمد خيضر" و"حسين آيت أحمد"، وكذا عمل على إقناع المصريين بهذا الأمر لإمداد يد العون، وبالفعل تمكن من ذلك.

ومن جهتها استطاعت لجنة الخمسة من إقناع مسؤولي القبائل ممثلين في شخصي "كريم بلقاسم" و"عمر أوعمران"، وذلك في شهر أوت، وبذلك أدمج كريم بلقاسم في لجنة الخمس فأصبحت ستة.[196]

أما بالنسبة للأسلحة بقيت مشكلا مطروحا، ولم يتمكن قادة الثورة الأوائل من إدخال أي قطعة سلاح من الخارج، اللهم إلا السلاح الذي كان مخبأ في الأوراس وكان قد جمع في عهد المنظمة الخاصة، وهو السلاح الذي كان سلحت منه غالبية المناطق، حين أنه منذ أوائل شهر أكتوبر شرع "مصطفى بن بولعيد" في إخراجه وتوزيعه على مراحل وسلّمه إلى المسؤولين في المناطق الآتية: (السمندو، الخروب، تيزي وزو، ذراع الميزان، بريكة، خنشلة، الولجة)، وكان ينقل هذه الحصص من السلاح والذخيرة بنفسه صحبة "شيهاني بشير" في سيارته تارة وفي سيارة "فرحات بن شايبة" تارة أخرى.[14]

وبعد اللقاءات التحضيرية المتكررة لأعضاء لجنة الستة في شهر أكتوبر 1954، تمّ تحديد يوم الفاتح نوفمبر من نفس السنة، وأن يكون اسم المولود الذي يقود الثورة (جبهة التحرير الوطني)، وورقة الازدياد (نداء موجها إلى كافة أفراد الشعب الجزائري). وهو النداء الذي تضمن بالإضافة إلى الأسباب الداعية إلى استعمال العنف الثوري كسبيل أوحد لتحقيق الاستقلال الوطني، وبرنامج عمل واضح أساسه الكفاح المسلح الذي لا يتوقف إلا بعد إقامة الدولة الجزائرية ولا يغلق الباب في وجه التفاوض على أساس الاعتراف للشعب الجزائري بحق تقرير مصيره، أما شروط الحل السلمي فقد حصرها النداء في:

- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية التاريخ والجغرافية واللغة والدين.

- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيدة الجزائرية واحدة لا تتجزأ.

- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة، وإيقاف كل مصادرة ضد القوات المكافحة، وغيرها من النقاط التي تتطرق إليها نص البيان.[15]

ومن جهة أخرى؛ فإن اللجنة التحضيرية قد قسمت البلاد جغرافيا إلى ست مناطق، عينت على كل واحدة منها مسؤولا، ماعدا منطقة الجنوب الذي تذكر المصادر والمراجع أنه يدعى "سي العربي" أو "لاجدوان سليمان" تحت مسؤولية قائد المنطقة الأولى "مصطفى بن بولعيد"، وهي المناطق التي جاءت على الشكل الآتي:

1 - المنطقة الأولى (الأوراس النمامشة) قائدها" مصطفى بن بولعيد".

2 - المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) قائدها "ديدوش مراد".

3 - المنطقة الثالثة (القبائل) قائدها "كريم بلقاسم".

4 - المنطقة الرابعة (الجزائر وضواحيها) قائدها "رابح بطاط.

5 - المنطقة الخامسة (الغرب الجزائري) قائدها "محمد العربي بن مهيدي".

6 - المنطقة السادسة (الجنوب) قائدها "سي العربي" ("لاجدون سليمان") يوضع تحت تصرف "بن بولعيد" إلى حين هيكلتها.[16]

أما "محمد بوضياف" فيتوجه إلى الخارج ليسلم البيان إلى البعثة المستقرة في القاهرة ليعلن نبأ اندلاع الثورة من إذاعة (صوت العرب) حسب التاريخ المحدّد، غير أنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المحدّد وسلمه في اليوم الثاني من شهر نوفمبر 1954، وأعلن عن الثورة في إذاعة صوت العرب من القاهرة.[17]

---

(1) محمد يوسفي، الجزائر في ظل المسيرة النضالية (المنظمة الخاصة)، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002، ص:91. وأيضا أُنظر: بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص:193.

(2) من مواليد 1924 بالجزائر العاصمة، متحصل على شهادة الكفاءة العليا، وفي التاسعة عشر من عمره أصبح مسؤولا عن لجنة شباب حي بلكور التابعة لحزب الشعب، كان من بين المشرفين على مظاهرات أول ماي 1945 بالجزائر العاصمة، مما جعله مطلوبًا من طرف الشرطة الاستعمارية، وصل نشاطه في كنف السرية تحت اسم مستعار(سي المسعود)، كان محمد بلوزداد من بين الذين أشرفوا على تحضير مؤتمر 1947 وشارك فيه على رأس الوفد القسنطيني، في 1949 دخل المستشفى على إثر مرض عضال ألزمه حتى أخذته المنية في جانفي 1952. أُنظر: جريدة المنار، (سياسية، ثقافية، دينية، حرة)، الجزائر، ع:14، 21 ربيع الثاني 1371 الموافق لـ 19 جانفي 1952، ص:3. وأيضا؛ ع:15، 6 جمادى الأول 1371 الموافق 1 فيفري 1952، ص:3.

(3) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ج1، ص:179.

(4) ولد عام 1926 بمشلي (القبائل الكبرى)، انضم إلى حزب الشعب عام 1942، عضو المكتب السياسي للحزب (1947-1949)، ساهم في تشكيل المنظمة الخاصة التي تولى قيادتها في أواخر 1948، نظم الهجوم على مكتب بريد وهران في أبريل 1949، أبعد عن قيادتها خلال هذه السنة بتهمة الميل للبربرية، بعد اكتشاف المنظمة سنة 1950 حكم عليه غيابيا،

مثل حزب الشعب في القاهرة عام 1951 إلى جانب محمد خيضر، أصبح أول ممثل لجبهة التحرير الوطني في نيويورك، عضو المجلس الوطني للثورة، في 22 أكتوبر 1956 تم اختطافه مع رفقائه في حادثة اختطاف الطائرة ليبقى في السجن حتى الاستقلال، في صائفة 1962 عارض بن بلة وقيادة الجيش وأسس (جبهة القوى الاشتراكية)، تم اعتقاله وحكم عليه بالإعدام، لكنه فر من سجن الحراش سنة 1966 ليعيش منذ ذلك الحين في المنفى، توفي يوم 23 ديسمبر 2015. أُنظر: محمد حربي مرجع سابق، ص:185. وأيضا أُنظر:

Benjamin Stora, Dictionnaire Biographique de Militants Nationalistes Algériens (1926-1954), L'Harmattan, Paris, 1985, p:270

(5) ولد يوم 25 ديسمبر 1918 في مغنية، انظم إلى حزب الشعب بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح عام 1949 مسؤول المنظمة الخاصة، اعتقل عام 1950 وحكم عليه بالسجن المؤبد. في سنة 1952 تمكن من الفرار من سجن البليدة، ولجأ إلى القاهرة وأصبح منذ نوفمبر 1954 أحد زعماء جبهة التحرير الوطني، اعتقل مع رفقائه يوم 22 أكتوبر 1956 في حادثة اختطاف الطائرة من طرف السلطات الفرنسية،، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية (1956-1962)، ونائب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، أول رئيس للجمهورية الجزائرية بعد الاستقلال، اطيح به على إثر انقلاب هواري بومدين عام 1965 وأودع السجن، أطلق سراحه الرئيس الشاذلي بن جديد في سنة 1979، توفي يوم 11 أفريل 2012. أُنظر: محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص:186.

(6) بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص: 195 - 198 - 200.

(7) نفسه، ص:226. وأيضا أُنظر: محمد حربي، جبهة التحرير، مرجع سابق، ص:75.

(8) بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص: 229.

(9) عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، ترجمة: موسى أشرشور، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص:62. وأيضا أُنظر: قداش وصاري، مرجع سابق، ص: 141.

(10) ابن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص: 612.

(11) قداش وصاري، مرجع سابق، ص: 143. وأيضا أُنظر: عمار بوحوش، مرجع سابق، ص:342.

(12) محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، ط 2، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، ص:48.

(13) محمد بوضياف، مرجع سابق، الجزائر، ص ص:51 - 52.

(196) نفسه، ص: 57.

(14) محمد الطاهر عزوي، ((الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس))، أول نوفمبر، اللسان المركزية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، ع: 53، 1981، ص 45:

(15) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص ص:82 - 83.

(16) محمد حربي، جبهة التحرير، مرجع سابق، ص: 110. وأيضا أنظر: فتحي الديب، جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل، القاهرة، 1984، ص:36. وأيضا: عيسى كشيدة، مصدر سابق، ص:85.

(17) عمار بوحوش، مرجع سابق، ص:148.